

ثقافة الأسرة

البيت وحدة اجتماعية يجتمع فيه الأبوان والأولاد ينشدون مصلحة مشتركة هي السعادة للجميع . والسعادة والبيت إنما يتوصل إليهما بنمو الأجسام للصغار ونمو الأذهان للكبار ونمو الثروة والثقافة والحضارة .

وسنة الحياة هي النمو ، وهي أيضا سنة الرق ، فإذا ركذ الفرد وكف عن أن ينمو في جسمه أو ذهنه أو بيئته فإنه يفقد لذة العيش ويتولاه السأم الذي قد يؤول به إلى شر المآل ، والنمو يحتاج إلى الطموح وإلى أن يشعر الطامح أنه يحقق تقدما متواصلا إذا هو دأب في العمل ونصب لنفسه غاية شريفة ينبغي تحقيقها ، وهذه الغاية تبقى أمامه كالمنارة يسترشد بها أو الميزان الذي يمنعه عن الانحراف .

وفي الأمة والمجتمع بواعث كثيرة تعمل للرق عن طريق المنافسة ، ولكن البيت يحث على الرق بالمشاركة ، فالزوج الذي يطلب من زوجته أن تكون زميلة يأنس بحديثها ويشاركها وإياها في الأماني والغايات يجب أن يهتم لرفقها كما يهتم لرق نفسه ، إذ أن تخلفها عنه في الميدان الثقافي يجعلها غريبة عنه لا تشاركه الحديث إلا في التافه والتافل ، فيرى نفسه منفردا في البيت يحتر أفكاره ويقرأ جريدته أو كتابه وهو وحيد كأنه ناسك في صومعة لا يناور ولا يناقش ولا يفيض في حديث ، وهذه حال تقرب من الانفصال الروحي ، ويحول الزواج بعدها معاشرة باردة لا مزاجية حارة .

والبيت مؤسسة اجتماعية أعضاؤها الزوجان والأولاد ، والشعار لجميع المؤسسات هو الرق والتجدد ، وذلك بأن ينمو جميعهم في مختلف أنواع النمو ، فهذا أمان تستبدل به ما هو أبهى وأنفع ، وهذه صورة جديدة نشرها لكي نزين إحدى الغرف ، وهذا عيد قد وافى فحلا البيت بهجة بالأزياء الزاهية الجديدة ، وهذه حديقة بشرفة المنزل أو بأسكفة النافذة ، وهذا كتاب جديد أو مجلة جديدة ، وكل هذا التجدد لا يحتاج إلى الذهن السليم فقط بل أيضا إلى الذهن المثقف الذي يستطيع الاختيار والتمييز ، ومن هنا ضرورة الثقافة بأنواعها المختلفة .

والبيت العصرى يجب أن يسير مع الزمن ويشارك في حركاته ، والحديث الذى نستمع إليه فى الراديو فون أو القصة التى نراها فى الدار السينمائية أو الدراما التى نشاهدها على المسرح بل الجريدة أو المجلة التى نقرأها ، كل هذه تحتاج إلى مقدار من الثقافة التى تتيح لنا التفهم والتقدير والمناقشة النيرة ، بل كذلك الحال حتى عند ما نستمع إلى أغنية أو دور موسيقى .

وإذا اعترض أحد على هذا بأن البيت ليس مدرسة أو جامعة فإننا نرد على هذا الاعتراض بأن البيت ليس أيضا فندقا أو مطعا فقط . والسام الذى يستولى على أعضاء المنزل لقلة البواصت التى تشرکہم فى اهتمام معين أو قصد يراد تحقيقه كثيرا ما يشتہم فيبحث الأب على أن يندسوا فى القهوة أو الحانة أو يبعث ربة البيت على الزيارات العقيمة أو اصطحاب من تؤثر مفارقتهم . بل كذلك الحال فى الصبيان الذين لا يطبقون كظم ما عندهم من حيوية فينبعثون إلى النشاط المؤذى فى البيت أو الشارع .

والنمو الثقافى فى المنزل يقتضى منا نظاما يختلف عن النظام الذى تطلبه المدرسة أو الجامعة . لأن هاتين مدرستين على العمل والتكسب . ولكن الثقافة المنزلية يجب أن تكون غايتها قبل كل شئ ملء الفراغ . هذا الفراغ الذى يتقل أحيانا على ربة البيت عندنا فتجيه بأكل اللب أو غير ذلك مما يدل على سأم النفس . ووسائل الثقافة المنزلية هى الجريدة والمجلة والكتاب والراديو فون والسينما وغراف والمسرح . ثم هناك البيوت الراقية التى تستغل الضيافة للتنوير والتثقيف .

وليس بيت من البيوت العصرية يغلو من الجرائد والمجلات . وهذه يجب أن يكون اختيارها بعد العناية الكبيرة ومع اليقظة للاستبدال بها إذا وجد أن ما تنشره ليس مما يتفق والرقى الثقافى لأعضاء الأسرة . ويجب صيانة هذه الصحف حتى تدور على الأعضاء كل منهم يأخذ منها بمقدار ما يستطيع أن يهضم . فهذا الصغير يتسل بالنظر إلى الصور . وهذه الأم تريد أن تتف على الأخبار الاجتماعية . وهذا الأب يحتاج إلى استنواف الموضوع الذى حالجته هذه الجريدة أو المجلة لما له من خطورة خاصة . وهنا يجب على الأب أن يناقش زوجته وأولاده لى يثير فى نفوسهم الاهتمام حتى لا يركدوا . وللحوادث الجارية أهمية فى ذاتها ولذلك يسهل إثارة الاهتمام بها إذا عمد الأب إلى القليل من المناقشة فى شئونها سواء على المائدة أو غير ذلك من الأوقات . وهنا يمكن أن نقرأ نبذة من الجريدة أو المجلة لى يفتح بها الحديث العام بين الأعضاء .

وكذلك ليس يخلو بيت من الكتب . ورف الكتب أو خزانة الكتب هما في الوقت الحاضر من لوازم البيت العصري وهما يتمان الأثاث . وتجويدهما واختيار الخشب النفيس والصنعة الأنيقة لها مما تتفاخر به الأسر المستنيرة ، المثقفة . كما أن اختيار الكتب وزيادتها هو أحد الشئون التي يجب أن يهتم لها رب البيت وأن يضع نصب عينه رقي أعضاء الأسرة جميعهم . والكتاب الحسن يجب أن يكون موضوع المناقشة ليس بين أعضاء البيت وحدهم بل بينهم وبين الزائرين حتى لا يقتصر حديث الزيارات على القيل والقال . ومما يثبطنا في مصر عن وضع الكتاب في موضعه الذي يقرره له الاجتماع الحديث أن الكتب تخرج من المطابع غير مجلدة فتيلا وتتفكك بسرعة . ولذلك ينبغي تجليدها قبل أن تتناولها اليد .

وإذا تركنا الصحف والكتب جانبا فاننا نجد في الرديفون وسيلة ثقافية عظيمة القيمة . فانه يلقي علينا أحاديث في شتى العلوم والفنون . وعلى الرغم من حملات النقد التي توجه الى المذيع فانه مما لا شك فيه أنه يمزج اللهو بالجد ، وكثيرا ما يطالعنا بالطلل المفيد من هذه الأحاديث . ولا بد أن الأغاني سترتقى مع الزمن وتعود ايماء للنشاط والهمة ، ولهذا السبب يجب ألا يخلو بيت من الرديفون في العصر الحاضر . فانه هو وجد وسلاوى وفائدة وهو ما يزجى أوقات الفراغ ويرد السأم . ولكن أقل من هذا يقال عن السينماوغراف . فانه لا يزال تجارة حرة تجرى فيه المزاومة للكسب . وللحسب فقط . ولذلك قد استحال في كثير من مشاهداته أساطير وقصصا للتسلية فقط . وهذه التسلية قد لا تكون بريئة في كل الأوقات حتى احتاج كثير من الحكومات الى منع الصبيان عن غشيان الدورالسينمائية العامة . ولذلك يحتاج رب البيت أو ربه إذا شاءت الرقي الثقافي من الأفلام السينمائية الى العناية في اختيار دورها ومعرضاتها . وعندنا أنه لم تعرف قط وسيلة ثقافية تساوى أوتقارب السينماوغراف ولكنه ينساق في تيار التجارة الحرة ولا يبغي القائمون بشأنه غير الكسب . ومن هنا انحطاطه . بل من هنا أيضا انحطاط المسرح . وإن كانت الحكومة قد أخذت بيده ونجحت الى حد بعيد في تربيته .

والثقافة الفنية في عصرنا من الكماليات التي تشبه الضروريات . فان المنزل الذي لا يزدان بالصور الفنية يشهد على أصحابه بالتخلف . وربة البيت التي لا تقرأ النوتة الموسيقية تعد أمية تجهل أيجدية هذا الفن الجميل . وكلنا تقريبا نعاني هذه الحيرة الفنية وكلنا نرجو ألا يكون هذا شأن الجيل القادم .

إن النمو الثقافي للأسرة هو أحد الأركان لسعادتها لأنه يشعر الأعضاء بالرقى المتواصل . فهم في يومهم أفضل مما كانوا في أمسهم . وسيكونون غدا أفضل مما هم اليوم . وأسبابه التي ذكرنا وهي الصحف والكتب والريوفون والسينماتوغراف والمسرح هي في متناول معظم الأسر المتيسرة . ولكن يحسن برب البيت أن يخصصها بمقدار من المال كل شهر تعين منويته من الدخل الكلي حتى إذا فاض وتوافر جمل إلى الشهور القادمة . وبذلك تكفل للأسرة حياة ثقافية لا تنقطع .

وإذا اصطبغت عقلية الأسرة بهذه الصبغة الثقافية فإنها حتى في لحودها سيتعين لها اتجاه ثقافي . فهي حين تختار مكانا للزخمة سواء في آخر الأسبوع أو في اجازات الصيف أو الشتاء ستجده في اختيارها نحو الفائدة من اللهو والرقى من التسلية . وينشأ الأطفال وهم على هذا الاتجاه كل منهم يحاول التكلم بدرس علم أو فن . ويعود البيت وهو منارة للصالح والإصلاح .